صحيح البخاري (٢)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد -ﷺ- وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنَّا في اللقاء السابق قد تناول كتاب صحيح البخاري وبدأناه بترجمة مختصره عن الإمام رحمه الله ثم أعقبنا ذلك بذكر كتاب العلم وكيف أنه صدره.

بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)}[المجادلة].

حتى يُبين فضل العلم وأهميته، ومنه أيضًا:

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)

أخرجه مسلم (٨١٧).

بالعلم وبالقرآن يرفع الله أقوامًا ويضع آخرين، والأمر ليس قاصرًا على القرآن فقط أو العلوم الشرعية بل العلم في جميع أبوابه، فإذا شغل الإنسان وقته بالقرآن (حفظ_مراجعة_متابعة_تخصيص وقت لهذا الكتاب العزيز) فإن هذا يكون من أفضل الأعمال التي يلقى بها الله.

حفظ كتاب الله عمل من أعظم الأعمال شرط أن يكون الحافظ واضعًا لنية من وراء هذا الحفظ، فيكون عاملًا بحدود هذا الكتاب والامتثال لأوامره والانتهاء عند نواهيه، أما الحفظ المجرد عن العمل والفهم والتدبر فإن هذا يكون أول من يُسعر به القرآن، فالقضية ليست الحفظ وإنما _الهدف لابد أن يكون الحفظ للعمل.

يقول العلماء: المقصود ب(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا) أي بالإيمان به وتعظيم شأنه والعمل به، يكون الشرف لحامله وحسن الثناء على صاحبه في الدنيا وشرف في الآخرة،فالإنسان الذي سعى كي يحفظ كتاب

الله سبحانه وذهب إلى مجالس العلم حتى يصل إلى تحقيق هذا الهدف ثم بعد ذلك يتخلف عن العمل ولا يُراقب قلبه ولا يسأل هل هو في تقدم أم أنه مازال في مكانه؟ وهل مازال قلبه محب للدنيا محب للرياسة والتصدر والظهور ولديه أمراض قلوب أم لا؟

المفروض أن يكون متابع لنفسه، فلا يصح أن يكون متابع للقرآن ولا يعلم شيء عن أمراض القلوب، في هذه الحالة سيكون القرآن حجة عليه وليست له.

وعلى الحافظ لكتاب الله أن ينظر هل سيرفع به درجات يوم القيامة أم أنه لن يجده يوم القيامة كما كان يتمنى أن يجده بل أنه يجده حجة عليه؟

ينال الإنسان بالعلم المنزلة العالية في الدنيا قبل الآخرة.

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة ، وكان أنفه كأنه باقلاء، فجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إلى عطاء في مكة، وكان مفتيها في زمانه رضي الله عنه وأرضاه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم –أي: لا تقصرا ولا تتعبا في طلب العلم– فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد.

كان سليمان بن عبد الملك خليفة للمؤمنين، تولى الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك وهما ابنا مروان بن الحكم وهو الصحابي المعروف.

سليمان بن عبد الملك كان عادلًا صادقًا وأمينًا وعلى دين وكان محبًا للغزو واجتمع فيه من المناقب الكثير وعندما تولى الخلافة لم يُفسد أمرها عليه دينه.

وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلافه عمر.

هذا الرجل سليمان بن عبد الملك جلس في مجلس عطاء بن أبي رباح وكان رباح عبدًا أسود أوتي من الفقه، فأخذ سليمان ابناه وذهب بهما إلى مجلس هذا العبد حتى يتعلما منه العلم وكلما سألوه فإنه كان يُحوِّل وجهه عنهم ويتركهم.

- الشاهد: أن أمير المؤمنين يسعى خلف العبد حتى يجيبه عن أسئلة يحتاج إلى معرفة إجابتها، من هنا يأتي العِز والرفعة فبالعلم نال هذا العبد هذه المنزلة.

فلما رأى سليمان هذا الصنيع أمر أبنائه فقال لهم: لا تنيا في طلب العلم أي لا تفتروا عن طلب العلم نظرًا لما حدث لهم من ذل بين يدي هذا العبد الأسود وهم يسألونه وهو يُولي لهم ظهره.

- **فائدة آخرى: أنه من عدل هذا الأمير أنه لم يُعاقب هذا العبد رغم أنه أحد رعاياه.**

من أدلة فضل العلم التي لم يذكرها المصنف:

١- قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)}[آل عمران].

الآية تتضمن بيان عظيم لفضل طالب العلم، فطالب العلم الذي يتعلم العلم ويبتغي به وجه الله يُرفع ذكره وشأنه حتى أن الله جعل شهادة أولو العلم مقترنة بشهادة الله والملائكة وكفى بهذا شرف ومنَّة وفضل، ولو لم يكن في طلب العلم ميزة غير هذا الشرف ونيل هذه المنزلة لكفى بها منزلة وشرف لطالب العلم، وذلك لأن الله عز وجل لم يُشهد من خلقه إلا العدول، فهو يشهده على وحدانيته.

٢- قال تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)}[الزمر].

هذه أيضًا من الآيات التي لم يذكرها المصنف، فهل يستوي مَن لديه علم بالبعث والحساب والثواب ومَن ليس لديه علم أمام الله عز وجل؟

هل يستوي مَن علم فعمل بهذا العلم وأحسن العمل وأتقنه ومَن ليس لديه علم وبالتالي فإن عمله ضعيف وإذا عَمِل فإنه يقع في طامات نتيجة جهله؟

هل يستوي العالم والجاهل؟

لا يستوي مَن عَقِل العلم وفهمه وحفظه مع الجاهل الأعمى الذي يتخبط في ظلمات الجهل ولا يعلم كيف ينجو بنفسه، وكما لا يستوي العالم والجاهل فإنه لا يستوي المطيع ولا المسيء.

- **كم رفع العلم من شأن أقوام.**

(مثال):

- **يحيي بن زياد بن منظور الفراء المتوفى عام ٢٠٧هجري**

(أول القرن الثالث الهجري)

كان أمام النحويين فى عهد الخليفة المأمون العباسي.وتوفى الفراء عام ٢٠٧ هجرية .

يروي ابن الجوزى: فى تاريخ المنتظم فى ترجمته للفراء أنه كان ثقة إمامًا.

قال ثعلب: لولا الفراء ما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها.

ويروى عنه هذه الحكاية:

وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو(أي يعلمهما النحو) فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردًا فقدماها.

وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر (أي جاسوس) فرفع ذلك إليه في الخبر. فوجّه إلى الفراء فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له: مَنْ أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين.

قال: بلى .. من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم فردًا . قال: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما من ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصًا عليها . فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لومًا وعتبًا وألزمتك ذنبًا . وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبيّن عن جوهرهما ولقد تبينت لي مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرًا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه ولوالده ولمعلمه العلم.ولقد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

رأى ابني الخليفة أنه شرفًا لهما أن يتسابقا حتى يُلبسا معلمهما نعله فتصالحا على أن يُلبس كل واحدٍ معلمه فردًا من نعله، فوصل الخبر إلى الخليفة فاستدعى المُعلم ودار بينهما حديث أظهر أن أعز الناس ليس الخليفة وليس أمير المؤمنين بل هو مَن يتسارع وليا عهد المسلمين إلى نعليه كي يُلبسانه إياه لماذا؟

لأن أمير المؤمنين أو صاحب الولاية أوالرياسة يمكن أن يتسابق الناس لإرضائه انتظارًا لمصلحة يرجو الواحد منهم أن ينالها، لكن من يتسارع لينال صفة القُرب من العالم لم يفعل ذلك إلا محبةً لهذا العالم، ولذلك فإن العِز يكون على الحقيقة ومَن أعزه هو الله سبحانه فهو الذي قذف في قلوب العباد محبته، فبالعلم يرفع الله عز وجل شأن بعض الناس في الدنيا درجات.

ثم قال الخليفة تقديرًا لما فعله ولداه : فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرًا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه ولوالده ولمعلمه.

فمهما كبر الرجل فلا ينبغي له أن يكبر عن سلطانه إذا كان يحكم بما شرع الله عز وجل، وكذا الوالد مهما بلغ الإنسان في السن فعليه أن يتعامل مع والديه بالبر والإحسان والامتناع عن كل ما يسيء إليهما، وكذا المعلم فإذا بلغ التلميذ مبلغًا من العلم فعليه أن لا يتعالى على المعلم لأن التعالي يعني السقوط.

فلماذا نقول أن هذا سقوط ؟؟

لأنه دليل على مرض القلب(بالكبر_ التعالي _رؤية النفس) فمهما علا شأن طالب العلم فعليه أن لا يتعالى على مَن تلقى منه العلم حتى لو سبق هذا الطالب معلمه، فأحيانًا ما نرى أن التلميذ تعدت منزلته منزلة معلمه (ولو نظرنا في سيَّر السلف الصالح فإننا نجد بعض طُلاب العلم قد سبقوا مشايخهم كالبخاري مثلًا فقد سبق كل مشايخه وما تعالى يومًا على أحد منهم أبدًا).

ثم أكمل أمير المؤمنين كلامه فقال: ولقد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

فأعطاه هو الآخر عشرة ألاف على حُسن تأديبه لهما ومن حسن تأديبه لهما أنه قد يكون منعهم في بداية الأمر أن يفعلا ما فعلاه ولكنه تركهما بعد ذلك حتى يُعلمهما التواضع وهضم النفس وأن الإنسان مهما علت مكانته أو منزلته إلا أنه إذا جلس في مجلس العلم فإنه لا تتعدى منزلته منزلة طالب العلم.

فقال: لقد أدبتهم بطريقة صحيحة، حيث أنه ربَّاهم وعلَّمهم وهذا هو المُعلم صاحب الطريق الصحيح، لكن المُعلِّم الذي يُعَلِّم الطالب العلم المحض فيتوقف دوره على مجرد سرد الأقوال من غير أن يُربي القلوب فإنه مُعلِّم فاشل.

لماذا نقول أنه فاشل؟ لأن متلقي العلم من هذا المُعلم لا يتربى قلبه مع تحصيله لهذا العلم فيكون القلب ملئ بأمراض القلوب واللسان يتفوه بما لم يتربى عليه القلب فيكون العلم وبالًا على صاحبه.

فالمُعلِّم الذي يمتلك البصيرة ويعلم قدر المكانة التي وضعه الله فيها فإنه يُربي القلوب قبل أن يُربي العقول، فتكون تربية القلوب بإصلاحها وتأديبها وحسن السَّمت وحُسن الخُلُق، فتتربى القلوب وتتلقى العلم وتحفظه وتعيه ويُبارك الله سبحانه في هذا العلم إذا كان صاحبه قد تأدب بآداب طالب العلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) أخرجه مسلم(٢٦٩٩).

والمقصود بقوله(مَن سلك طريقًا):

أي أن أي طريق يسلكه العبد سواء سيرًا طريقًا على الحقيقة أو كان طريقًا معنويًا ، فإذا ما سلك أي طريق يلتمس فيه علمًا مما يُبتغى به وجه الله عز وجل فإن الله يُسهل له طريقًا إلى الجنة.

قال تعالى: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)}[القمر]

إذن القرآن مُيسَّر للعباد، ويُعان طالب العلم على حفظ القرآن وحفظ العلم إذا ما أصلح النوايا، فإصلاح النوايا يأتي بالكثير من العطايا من حيث لا يعلم الإنسان، فالتدقيق في النوايا وصدقها والإخلاص فيها يعود بالخير كله، فيهتدي الإنسان ويكون سبب لهداية مَن حوله.

قول لبعض أهل العلم:

إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها

هناك قاعدة لابد من بيانها حتى لا يحدث شيء من اللبس عند طالب العلم.

فأي قول يُقرأ عن السلف أو أهل العلم (الآثار التي نُقلت عن السلف ليست كلها مُحققة فقد يكون منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها ما لا يصح أصلًا).

وبالتالي فإنه يمكن أن يقرأ طالب العلم قول ورد عن السلف ولكنه لا يستقيم مع منهج أهل السنة، ولهذا فإنه حريٌ بالعاقل وطالب العلم الفطن

أن ينظر في قول السلف الذي يقرأه أو يسمعه ويحاول أن يعرف هل هذا القول يُوافق ما ورد في الكتاب والسنة(أي أن يكون هناك دليل من الكتاب أو السنة).

فإذا ما وجده يوافقه فعليه أن يأخذ به، أما إذا لم يجد في هذا القول إلا مجرد استحسان في نفسه دون أن يجد له دليل بل أنه يُعارض هذا المنهج فلابد من التوقف.

وبالنظر في قول أهل العلم المتقدم والبحث عن أدلتهم في هذا قول: فإننا نجد أن أدلتهم هي:

قال تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦)}[مريم].

قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)} [محمد].

إذن القول عليه أدلة كثيرة ولهذا يمكن الأخذ به.

وقيل أيضًا في مسألة تسهيل الطريق إلى الجنة(الصراط المستقيم):

(وقد يدخل في ذلك أيضا تسهيل طريق الجنة الحسي يوم القيامة – وهو الصراط – وما قبله وما بعده من الأهوال ، فييسر ذلك على طالب العلم للانتفاع به).

فيتيسر لطالب العلم الذي انتفع بالعلم موقفه يوم القيامة حيث الموقف العظيم من الأهوال والشدائد، وحتى يتمسك طالب العلم بهذا الطريق الذي أقبل عليه وسار فيه ينبغي عليه أن يعرف أن نتيجة السير في هذا الطريق ستكون التيسير في الموقف يوم القيامة لأنه انتفع بالعلم ونفع غيره كذلك ويستمر ميزان الحسنات في الزيادة.

وكلما زاد ميزان الحسنات فإن الله عز وجل يُخفف عن الإنسان العذاب يوم القيامة ولن يجد العذاب والأهوال التي يُعاني منها الآخرين.

فالعباد مُقبلين على الشدائد والأهوال لا جدال في ذلك ولكن الصبر على طلب العلم يؤدي إلى تيسير هذا الموقف على طالب العلم ومعرفة أن النتيجة ستكون هكذا يؤدي أيضًا إلى الصبر على صعوبات الطريق، فطلب العلم من أسهل الطرق التي تُوصل العبد إلى الجنة وفي الدنيا إلى العِز والعلو.

شرط أن يكون ذلك مصحوبًا بإخلاص النية لله سبحانه.

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاء إِنِّي أَتَيْتُك من مَدِينَة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ أَمَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ أَمَا جِئْتَ إلا لِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول:

"من سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهِ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَالْمَلائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتهَا رضَا لطَالب الْعلم وَإِن الْعَالم ليَسْتَغْفِر لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخذه أَخذ بحظ وافر"

مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان(٨٠).

- **الشاهد: أما جئت لحاجة : المقصود هو التأكيد على تحري النية التي تقود إلى القيام بالعمل، وهذا هو المُعَلِّم الذي يؤكد على ضرورة استحضار النية.**

ثم قال: أما جئت لتجارة أما جئت إلا لهذا الحديث: فقال : نعم
قال الرجل: أنه سمع بحديث عن فضل العلم فجاء ليسأل عنه.

- **فهل تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم؟**

نعم: تضع أجنحتها لطالب العلم ولكن كيف يكون هذا الأمر؟

أولًا: أي شرفٍ هذا الذي منحه الله عز وجل لطالب العلم، فبعد أن ذكر الشرف الأول وهو اقتران الملائكة بالعلماء في الشهادة على وحدانية الله عز وجل وهو أعظم شرف.

ثانيًا:ثم اتبع ذلك بذكر فضل من جملة الأفضال التي وهبها الله لطالب العلم وهو تيسير الطريق إلى الجنة إذا ما طلب هذا العلم وكان يبتغي به وجه الله.

ثالثًا:ثم تيسير الموقف حيث الأهوال والشدائد يوم القيامة على طالب العلم.

رابعًا:وَالْمَلائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رضًا لطَالب الْعلم:أي تتواضع له فتُعظِّم الملائكة وتُحب هذا الطالب وتدعو له نظرًا لإقباله وبذله الجهد والنفس في طلبه للعلم،وأنصح الخلق لبني آدم والذين يحدث الخير والسعادة على أيديهم وكذا الهدى والنفع والدعاء والاستغفار للبشر هم الملائكة، ولهذا فإن حب

الملائكة واجب على البشر وهناك تقصير في هذا الحب مع أنه ركن من أركان الإيمان(الإيمان بالملائكة) والإيمان بهم يستوجب معرفتهم ومعرفتهم تستتبع محبتهم فهم أنصح الخلق للبشر.

(يسألون الله للعباد أن يغفر لهم ويهديهم ويقبل توبتهم ويدعون لهم بكل خير).

فمنهم:

- الملائكة المعقبات التي تحفظ الإنسان.
- الملائكة التي تستغفر للعبد إذا مكث في مصلاه ينتظر الصلاة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)

أخرجه البخاري(٤٤٥).

ومنهم:

- الملائكة التي تحضر مجالس العلم وتُبلغ الله سبحانه بما يكون عليه حال عباده _ وغيرهم الكثير والكثير الذين يصل الخير على أيديهم للبشر والذي بدوره يُوجب علينا حب الملائكة.

وحب العباد للملائكة يستوجب عدم إيذائهم لأن مَن يحب لا يؤذي مَن أحب.....عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ نَفَرًا، أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ رِيحَ الْكُرَّاثِ، فَقَالَ: (أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسَانُ)

سنن ابن ماجة(٣٣٦٥)،[حكم الألباني] صحيح.

فكل ما يتأذى منه البشر يتأذى منه الملائكة، قيل هذا في سياق النهي عن دخول المسجد لمن أكل الكراث فالملائكة تتأذى من رائحة الفم كما يتأذى منه ابن آدم، فما بالنا بما هو أكثر من ذلك(سب ولعن، غيبة ونميمة، كذب)فكل ما يتأذى منه بنو آدم وخاصةً الصالحين منهم يتأذى منه الملائكة فلا تؤذوا الملائكة الكتبة بما يكتبونه في سجلاتكم فيزيد في ميزان السيئات، وكذا يتأذون من فعل المنكرات.

- **الشاهد:** أن الملائكة لهم فضلٌ كبير ومحبة عظيمة لبني آدم.

قال بعض التابعين: وجدنا الملائكة أنصح الخلق للعباد، ووجدنا الشياطين أغش الخلق للعباد.

فكما أن الملائكة هم أنصح الخلق وأحب الخلق لعباد الله عز وجل، فإن الشياطين أكثر مَن يغش العباد ويغويهم ويعمل على إفسادهم، وعندما يأمر الشيطان الإنسان بشيء ضد الدين وضد مراد الله عز وجل وعلى عكس ما يُرضي الله فعليه أن لا يستجيب له لأنه يريد أن يُفسد على العبد أمر دينه ودنياه وآخرته.

جاء في الحديث أيضًا:

(وَإِن الْعَالم لَيَسْتَغْفِر لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ).

فالعالم هو السبب في انتشار العلم الذي به تهتدي النفوس وتنجو من أنواع المهالك والمصائب **فلماذا؟**

لأن الإنسان إذا استمر في عبادة الله السنين الطويلة وهو قائم على بدعة _أو ضد شرع الله تعالى _أو اتبع فكر فرقة من الفرق الضالة فما

هي الفائدة التي تعود عليه يوم القيامة إذا ما اقترنت عبادته كل هذه السنين بشيء من الطامات السابق ذكرها، هذا الإنسان من أهل النار إذا ظل مُلازمًا لهذا الحال.

ولكن العالم يأتي دوره لإزالة أو لدفع هذا الجهل وتلك الضلالات والشُبهات عن العقول وبالتالي فإنه يحجب عن الشخص مصائب ومهالك كان من الممكن أن يقع فيها إذا استمر على هذا الضلال كما أن دوره يؤدي إلى تزكية نفوس مَن يسمعه، ولهذا فإن أهل السماوات والأرض يدعون له لأنه نجَّا العباد بعلمه من المهالك _من النار_من عذاب الله، فأكرمه الله سبحانه باستغفار أهل السماوات والأرض.

وإذا كانت الملائكة تستغفر لعوام المؤمنين والمؤمنات فكيف يكون حالهم مع العلماء؟!

قال أيضًا: وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ.

حتى الحيوان فإنه يستغفر للعالم لأنه بالعلم يُعرف ما يجوز وما لا يجوز في المُعاملة مع الحيوان.

وقال وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ.....هذا تشبيهٌ رائع لماذا؟ لقد شبه العالم بالقمر كما أنه شبه العابد بالكوكب، ولو أننا نظرنا إلى الكوكب في السماء فإننا نجده مُضيئًا لكن ما هو حجم أو حيّز هذه الإضاءة ؟ مساحة محدودة جدًا.

(وكذلك العابد فإنه يُضيء لنفسه فعبادته أيًا كانت لأنها لا يتعدى نفعها إلى الآخرين بل أنها تنحصر في نفع نفسه، فعمله قاصر محدود، ولو نفع فسيكون نفع قليل جدًا لأن دائرته محدودة بمن يُحيط به).

أما القمر فإن نوره يملأ السماء، وكذلك العالم فإن نور علمه يصل إلى الكثير والكثير (المئات_الألوف_الملايين) فالعمل متعدي.

العلماء الذين ماتوا من سنين عديدة (مثلًا :الفرَّاء) الذي ذكرناه في بداية المجلس والذي توفي(٢٠٧هـ) أي منذ ألف ومائتين عام ولكنَّا إلى اليوم مازلنا نتكلم عنه ونستفيد من علمه ومصنفاته، فما هو حجم النور الذي وهبه الله لهذا العالم، وإلى اليوم إذا ذكرنا الشافعي فإننا نقول رحمه الله، وكذا البخاري، الترمذي، وغيرهم وغيرهم كل هؤلاء ملئوا الدنيا بنور علمهم فيستفيد ويُفيد غيره ويزيد النور على حسب النية وإخلاصها.

كل هذا جاء تحفيزًا من النبي ﷺ لطلب العلم والمُثابرة والاستمرار وعدم الضَّجر أو ضيق النفس مهما صادف طالب العلم من مُضايقات أو مُعاناة أثناء السير على الطريق.

اشترك العلماء مع الأنبياء في منقبة عظيمة وهي الدعوة إلى الله عز وجل.

قال: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخذه أَخذ بحظ وافر).

بعد أن أورد الرسول ﷺ كل هذه الجزئيات أنهى الحديث بقوله: العلماء ورثة الأنبياء، ومن المعلوم أن الموروث يصل ميراثه إلى ورثته، والأنبياء عند موتهم ماذا تركوا لمن جاء بعدهم ؟ لم يتركوا بعدهم إلا علمهم فذهب هذا العلم إلى ورثتهم وهم العلماء، ومن ثمَّ فقد نالهم فضلًا عظيمًا من فضل النبوة.

عندما يشترك هؤلاء مع الأنبياء في فعل من أفعالهم فكيف تكون منزلتهم عند الله سبحانه إذا أخلصوا في النوايا.

فَمَنْ أَخذه أَخذ بحظ وافر: أي أن مَن أخذه فقد أخذ بأحسن شيء في هذه الدنيا.

وأقرب الناس لميراث الأنبياء هم العلماء وهذا شرف آخر لأن هذا الميراث من العلم لن يأخذه إلا العالم وطالب العلم وهو الميراث الباقي.

_فإذا ما قُورِنَ العلم بالمال كأشياء تُوَّرث فإننا نجد أن المال يأتي عليه الوقت الذي يُستنفذ فيه بإنفاقه، أما العلم فهو على العكس من ذلك، فكلما بُذِلَ العلم كلما زاد (فيعلو_يزكو_يربو) فيُعَلِّم العالم ويُعلِّمه الله سبحانه، والعالم الذي يُقدم علمه للناس يُزيده الله علمًا، وكلما نشر العالم علمه كلما زاد في ميزان حسناته فترفع درجاته، وهذا هو فضل ميراث النبوة الذي تُحيط به البركة.

تنبيه من العلماء: فتوارث العلماء لعلم الأنبياء يستوجب أن يتبعوا سبيلهم في طريق الدعوة إلى الملك سبحانه وتعالى (التبليغ).

بمعنى: هل كان العلماء يبلغون العلم فقط بعيدًا عن التقوى والورع ؟
وهل كان الأنبياء يدعون الناس بجفاء وغلظة وشدة أم أنهم كانوا
يدعونهم برفق ولين وهدوء وصبر وسِعة صدر؟

الداعي إلى الله عز وجل لابد أن يتصف بصفات مُعينة اتصف بها الأنبياء وهم يدعون إلى ربهم قبل العلماء (الرفق_اللين_سِعة الصدر_ تحمُّل المخالف_والصبر على أذاه_عدم الانتصار للنفس_عدم رد السيئة بالسيئة فلا يغتاب مَن يغتابه ولا ينسب إليه شيء حتى لو كان فيه).

لأن هذا الأخير لم يكن خُلُق الأنبياء ولا أدبهم ولا سبيلهم في الدعوة إلى الله،كما أن مَنْ يفعل هذا لم يستفد من ميراث النبوة(آداب العلم الموروث).

إلى جانب ذلك ينبغي التنبيه: على أنه ليس المقصود بالرفق واللين وسِعة الصدر هو تمييع المسائل ولكن هناك وقت يكون الحزم والشدة هو المطلوب وهناك وقت آخر يكون الرفق واللين هو المطلوب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَصَلَّى قَالَ ابْنُ عَبْدَة: رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا).
ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ) أَوْ قَالَ: (ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ)
سنن أبي داود(٣٨٠).

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَطَسَ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا لِيَ أَرَاكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَأَنَا أُصَلِّي فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ يُصَمِّتُونِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ فَبِأَبِي وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَكِنَّهُ قَالَ لِي: (إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ الصَّلَاةُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)

مسند أبي داود الطيالسي(١٢٠١).

المقصود: أن النبي ﷺ كان أحيانًا يتعامل مع المخالف بالرفق واللين في مواقف وأحيانًا أخرى يتعامل بالشدة والحزم.

فالمخالف الذي قطع باعًا في العلم ومع ذلك قائم على معصية، فهذا لا ينبغي أن نتعامل معه باللين والرفق لأننا بهذا نُخالف السنة إذ أن السنة تُوجِبْ زجره لمخالفته.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: (يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

أخرجه مسلم(٢٠٩٠).

لقد نزع النبي ﷺ الخاتم من الرجل على الملأ ، ولو صدر فعل كهذا من المعلم لأنكر عليه طلاب العلم هذا الفعل ولكن الرسول ﷺ فعل ذلك وهو المربي والمعلم.

هذه هي السنة: فمن السنة أنه إذا عَلِمَ الشيخ أن هذا الشخص على علم بحكم هذا الخطأ الذي يرتكبه فإنه يجب عليه أن يزجره أمام الناس لأنه لن يمتنع إلا بهذه الطريقة، وهذا الرجل الذي كان يرتدي الخاتم كان يعلم بحكم ارتداء الذهب للرجل وبالتالي فقد زجره النبي ﷺ على الملأ.

يقول بعض السلف:

العلم خير من المال لأن المال تحرسه والعلم يحرسك.

فصاحب المال دائمًا ما يكون في قلق وتوتر واضطراب وانشغال بحال ماله(بما جاء وبما انفق، بما اشترى وبما باع، بما كسب وبما خسر) وهكذا، ولذلك فإن أكثر الناس عذابًا وشقاءً هم أصحاب الأموال فلا يعرفون الراحة، حياتهم كلها قلق وانشغال في البحث عن كيفية حراسة المال.

أما العلم فإنه يحرس صاحبه لماذا؟

لأن هناك ملائكة يدعون له، كما أن له رب راضٍ عنه ويُدافع عنه، كما أن العلم يحرس صاحبه من أن يدخل عليه آفة من الآفات أو أن يكون للدنيا فيُفسد عليه أمر آخرته، هذا الحارس يمنع دخول أمراض القلوب أو آفات اللسان.

ثنا عبد الرزاق قال: سمعت الثوري، يقول لرجل من العرب:
اطلبوا العلم ويحكم، فإني أخاف أن يخرج منكم فيصير في غيركم، اطلبوه ويحكم، فإنه عز وشرف في الدنيا والآخرة.

ينصح سفيان رجل من العرب أن يطلبوا العلم لأنهم إذا لم يتعلموا وذهب هذا العلم للغير فإنهم سيذلون فالجاهل يحتاج إلى إجابة على أسئلته، أما العالم فهو مَن يلهث ورائه الناس كي يسألوه وبالتالي فهو في عِز، وهذا لا يمنع من أن يذل الإنسان نفسه حتى يصل إلى هذا العز وذاك الشرف وأن يكون صاحب علم.

بَابُ "مَن سُئِلَ عِلمًا وَهُوَ مُشتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فأَتَم الحَدِيثَ ثُم أَجَابَ السائِلَ".

ومن عبقرية الإمام البخاري التي يشهد بها أهل العلم أنه اختار أسماءً للأبواب فَوُفِقَ في ذلك توفيقًا عجيبًا لاحظه أهل العلم وشهدوا به.
فبوب بابًا بهذا العنوان ثم ذكر الحديث الأتي:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ:«أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:«فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:

«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»

أخرجه البخاري(٥٩).

البخاري عندما وضع الحديث في هذا الموضع لم يقصد أن يتكلم عن علامات الساعة، لكنه أراد أن يُبين أدب من الآداب يجب أن يتأدب به طالب العلم.

أولًا: ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه.

مَن هو أبي هريرة رضي الله عنه؟

هو الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ، الدوسي اليماني سيد الحُفَّاظ الأثبات، وقد اختلف العلماء في اسمه لأن شهرته كانت بكنيته أبو هريرة.

وكانت أرجح الأقوال كما ذكر الإمام الذهبي (عبد الرحمن بن صخر) وقد روى عنه خلق كثير جدًا من الصحابة والتابعين.

حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع قلت لأبي هريرة:

"لم كنوك أبا هريرة؟؟

قال أما تفرق مني قلت بلى إني لأهابك قال كنت أرعى غنما لأهلي فكانت لي هريرة صغيرة فكنت إذا كان الليل وضعتها في شجرة فإذا أصبحت أخذتها فلعبت بها فكنوني أنا هريرة".

أخرجه الترمذي بسند حسن (٣٨٤٠)في المناقب، صححه الألباني

هذه هي قصة كنيته رضي الله عنه....

من مناقبه رضي الله عنه (دعاء النبي ﷺ له).

عَنْ أَبِي كَثِيرٍ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ) فَخَرَجْتُ

مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ.

فَقَالَتْ:

مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ.

ثُمَّ قَالَتْ:

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ) فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

أخرجه مسلم(٢٤٩١).

الحديث رائع وبه فوائد عظيمة جدًا.

لقد كانت أم أبي هريرة مُشركة وقد كان أبو هريرة يريد أن يُنقذها من النار فكان دائمًا يتكلم معها عن رسول الله ﷺ ولكنها كانت تأبى الدخول في الإسلام بل وكانت تُسمعه ما يسوءه في أمر هذا الدين، فطلب أبو هريرة من النبي ﷺ الدعاء لأمه بالدخول في الإسلام وأخبره أنه كلما دعاها فإنها تنال من رسول الله ﷺ وتتحدث عنه بما يكره، العجيب أن النبي ﷺ لم يغضب عندما سمع هذا القول ولكنه دعا لها وعذر جهلها

وكان الرفق في قلبه أمر عجيب فسأل الله لها الهداية فاستجاب الله له وأسلمت المرأة بدعاء النبي ﷺ لها.

استطراد

وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا.

كانت المرأة كافرة ترتدي الدرع والخمار، في حين أن الكثير من نساء المسلمين اليوم لا يصلون إلى مرتبة المرأة الكافرة في الحفاظ على ستر جسدها.

- الدرع هو: العباءة
- الخمار هو : الغطاء الذي يُغطي الوجه والجسم كله.

الشاهد: أن المشركة الكافرة التي تعبد الصنم تأبى أن تخرج أمام أحد إلا وهي ساترة جسدها، أما اليوم فإن الكثير كما قلنا من المسلمات لا إشكال بالنسبة لإحداهن أن تخرج من بيتها وهي متبرجة سافرة ترتدي من الملابس ما يُخالف الشرع بل ما لا ترضى هذه المرأة الكافرة أن ترتديه لو عُرِض عليها.

كل هذا يحدث ثم نتعجب من حال هؤلاء ونقول هل هؤلاء بشر مثلنا، ما كان هذا الفرق إلا لأن ذنوبنا كثيرة.

- هذا الحديث من دلائل النبوة.

لأن أبا هريرة رضي الله عنه محبب لجميع الخلق، وهل هناك مسلم صاحب إنصاف لديه قليل من العلم لا يحب أبا هريرة؟ فهو من أكبر رواة الحديث عن رسول الله ﷺ فانتشرت أحاديثه ولاقت القبول عند المحدثين والذين دوَّنُوها في كتبهم، فكان هذا حفظًا للسنة.

حفظه المتقن للسنة.

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ مَا بَالُ المُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ:

(إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ)، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ".

أخرجه البخاري(٢٠٤٧).

◎الشاهد: أنه قال أن المهاجرين كانت تشغلهم الأسواق والأنصار كانت تشغلهم الأموال، أما أنا فلم أنشغل عن حديث رسول الله ﷺ، فلم يعمل إلا

بالقدر الذي يجعله يجد قوت يومه حتى يتفرغ لطلب العلم....قال النبي ﷺ(إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ).

وهذا القول كناية عن شدة التركيز حتى إذا ما قيلت الأحاديث جُمعت في صدره فلم تُنسى بعد ذلك، وبالفعل بسط أبو هريرة كساء كان معه فسمع ثم جمعه فوعاه فأصابته دعوة النبي ﷺ فيحفظ ولا ينسى أبدًا

_ كانت القلوب صافية لأنها خُلِقت نقية والبركة كانت تعمهم فحفظ سنة النبي ﷺ، وبذل كل ما بذل على حساب السعادة وعلى حساب التجارة والأسرة والبيت والأولاد، لم ينشغل أبو هريرة بكل هذه الأمور، ولكن كان كل ما يشغله هو أن يعي سنة رسول الله ﷺ ويحفظها لكي يقوم بإبلاغها للأمة، هذه الأحاديث ستُقَام بها الأمة وإن لم تُحفظ فمن أين كنَّا نأتي بالمنهج وتوضيح الشرع.

يقول أبي هريرة: لماذا تلوموني لقد كان شغلي الشاغل هو السماع والحفظ،فانقطعت عنه العلائق ولم يتعلق بالدنيا بل الحب لرسول الله ﷺ والحب للدعوة والدين فكان أبو هريرة.

مَنْ يُحاسب على المبذول هو الرب الشكور

فلا يتصور شخص أن بذله في سبيل الدعوة ولو لأقل القليل سيضيع، يمكن أن لا يرى الثمرة عاجلًا ولكنه سيراها آجلة، فهل كان أبو هريرة يعلم أنه سيصل إلى هذه المنزلة بين رواة الحديث ؟ طبعًا لا.

أحيانًا ينتشر صيت الإنسان ويعلو شأنه ولكن بعد وفاته وليس قبل موته وكم من عالم ذاع صيته بعد موته، علماء كُثر نعم ذاع صيتهم في حياتهم واشتهروا ولكن ليس بالصورة التي هم عليها اليوم وهذا من فضل الله عز وجل على العباد.

قال تعالى: { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)} [الشعراء].
فيتحدث الناس عنه ويثنون عليه ويذكرونه بالثناء الحسن.

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزة واضحة من علامات النبوة؛ لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يَكثُر منه، ثم تخلف عنه [أي النسيان] ببركة النبي ﷺ".

نعود إلى الحديث مرة أخرى:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟

الأعرابي هو: مَنْ يسكن البادية وكان بعيدًا عن المدينة والحضر، فيسمّى لذلك ساكن المدن بالحضريّ، ويسمّى من يسكن البادية أو الأعراب بالبدويّ.
كل إنسان لابد أن يتسم بسمات البيئة التي يعيش فيها ولهذا فإن البيئة الصحراوية قد طبعت على هؤلاء الناس شيء من الجفاء.

قال تعالى: { الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)} [التوبة].

ولهذا فإننا نجد هذا الجفاء والشدة واضحان في طريقة طرح السؤال، كان النبي ﷺ يتحدث فدخل عليه هذا الأعرابي فسأله(لم يكن لديه أدب السؤال أو طالب العلم).

الساعة تعني: في اللغة قطعة من الزمن، وسُمي وقت القيامة ساعة لأنها ستأتي فجأة.

كما قال الله سبحانه وتعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)} [الأنعام].

فلا يعلم أحد متى الساعة، وليس معنى ذلك أن الإنسان سيستيقظ يومًا فيجد أن القيامة قد قامت، ولكن هناك علامات صغرى ثم علامات كبرى وبعد أن تنتهي العلامات الكبرى لا يدري أي شخص متى ستقوم الساعة.

فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ:

أي أن النبي ﷺ استمر في حديثه ولم يُجِب على سؤاله

حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: (أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ) قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ).

معنى وُسِّدَ: توسَّدَ يتوسَّد، توسُّدًا، فهو مُتوسِّد، والمفعول مُتوسَّد، توسَّد الوسادةَ: وضع رأسَه عليها، اتَّكأ، أو نام عليها.

توسَّد الأرضَ: نام عليها وجعلها وسادة له "توسَّد الترابَ".

توسَّد ذراعَيْه: مُطاوع وسَّدَ: اتَّكأ عليهما واتَّخذ منهما وسادة "توسَّد الطفلُ صدرَ أمّه.

أما المقصود بقوله: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ.

فإنه يعني إذا وُكِلْ الأمر أو أُسْنِدْ إلى غير أهله.

من فوائد الحديث:

١- الحديث يُبين جواز عدم رد المُعلم على السائل إذا ما سأله وهو مازال يتكلم فيستمر في كلامه ولا يُجيب على السؤال.

وقيل أيضًا: ربما يكون السؤال ليس ذات أهمية ولهذا فإن النبيصلى الله عليه وسلم لم يرد، فماذا سيفعل السائل إذا عَلِم الإجابة.

وقيل أيضًا: ويُحتمل أن يكون النبي ﷺ كان يتكلم مع شخص آخر أو أنه كان يتكلم في موضوع آخر.

ثم قال: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ: كل إنسان (المسلم) اليوم هو مؤتمن على أمانة لقول النبيﷺ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

الأدب المفرد(٢٠٦)[قال الشيخ الألباني] : صحيح.

ولو نظرنا نظرة عامة إلى المجتمع من حولنا لوجدنا أن الغالب على أحوال الناس هو تضييع الأمانات التي في أعناقهم.
فأضاع الأب أمانته في حفظه لبناته وتعليمهن الدين وتعليم الأولاد الكتاب والسنة وأخذهم إلى المسجد منذ صغرهم حتى إذا ما كبر كبر معه ارتباطه بالمسجد وحب الصلاة، وحث الفتاة على ارتداء الحجاب والتزام الشرع، وكذا حث الزوجة على ذلك وتأديبه(تعليمها الآداب والأخلاق وأمور دينها) وهذا من حق الزوج على الزوجة لأن الزوجة أمانة والأبناء أمانة ولهذا فإنه سيُسأل عن (نفسه_ زوجته_ أبنائه) يوم القيامة.

أين الأب اليوم (إلا القليل منهم) الذي يهتم بتربية نفسه أولًا ثم يُربي الزوجة ويُعلمها شرائع الدين، الكثير من النساء اليوم نرى أن أكثر شكواهن هي منع الأزواج لهن من الذهاب إلى مجالس العلم، وبدل من أن يُعَّلم الزوج زوجته ويسعى في حفظ هذه المرأة التي جعل الله له ولاية عليها يمنعها من التعلم على يد الآخرين، هو يمنعها من خير كثير يمكن أن يعُم على البيت كله إذا ما حصَّلت هذه المرأة العلم الشرعي، والحجة التي يستند إليها الزوج هي إمكانية سماع الدروس على شبكات التواصل الاجتماعي، وهل يستوي السماع على هذه الشبكات مع مجلس العلم الذي تحفه الملائكة بأجنحتها إلى السماء الدنيا وهم أنصح خلق الله للعباد فيدعون ويستغفرون لبني آدم؟ كيف يُقارن هذا بذاك؟

يقين كما نرى الشمس أن هذا هو ما يحدث في مجالس العلم فقد أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ ولابد أن نُصدق هذا الخبر.

الزوجة أمانة والزوج قد ضيعها بمنعها من تعلم شرع ربها سبحانه، فلم يأخذ على يديها لو كانت ظالمة لنفسها بالخطأ، لقد رأى زوجته وهي تغتاب وتكذب وتُسيء الأدب وتربي الأبناء على سوء الخلق وهو يسمع ويرى ولا تعليق على ما يحدث ولو بكلمة اتق الله لأنه في نفسه لا يتقي الله عز وجل، وحتى مَن يكون على درجة من التقوى نراه يكتفي بحال نفسه وإصلاحها.

وليست النساء بمنأى عن هذا الأمر فهن أيضًا مُضيعات للأمانة إلا من رحم ربي منهن، فتمنع الأم ابنها من سماع درس العلم لأنها ستذهب به إلى مكان ليتعلم به لعبة معينة أو لأنها ستذهب في زيارة عائلية في نفس وقت الدرس، هذه الأم فضلت أمر الدنيا على أمر الله سبحانه.

أقول لهذه الأخت: غدًا ستجني ثمرة ما فعلتي لأن أمر الدنيا سيكون سبب في حزنك وشقائك وآلامك التي تجدينها في الدنيا قبل الآخرة فهذه هي سنن الله الماضية (فأي شيء يعصي الإنسان به الله لابد أن يُعذب به)، فهذا الولد تربى على أن المهم هو أمر الدنيا لا أمر الآخرة، لقد أهانت الأم الدين في قلب الولد فنشأ على عدم التعظيم لأمر الله سبحانه

وإذا نظرنا إلى أي مجال سنجد نفس الصنيع يحدث، فالقائم على (الجامعة_ المصنع_ الرياسة_ المدرسة) الكل مُضيّع للرعية والسؤال

سيكون شديد جدًا لكل إنسان في عنقه رعية وهو مُضيع لها بحسب ما ضيَّع من رعية، فالمسئول عن واحد لن يستوي في السؤال مع المسئول عن ألوف أو ملايين.

يُروى عن الشافعي رحمه الله:

أنه لم يكن في سِعة من ذات يده، وكان الناس يهدون إليه تحائف(هدايا)إلا أنه لم يكن يمسكها وكان يُنفقها على الفور وكان يعيش في عسرةٍ، وكان تلميذه ابن عبد الحكم صاحب ضيعة وعنده من النخيل الكثير.

ودعا الشافعي يوما إلى وليمة وأكرمه حتى أن ابن عبد الحكم اعتق عبده فرحاً بزيارة الشافعي له.

فلما مرت الأيام و مرض الشافعي مرض الموت (مات الشافعي صغيراً عن عمر يناهز أربعة وخمسون عاماً) ندب الناس ودعا الناس حتى يرى من يُدرس بعده.

وهذا شيء طيب فعندما يشعر العالِم أن أجله قد اقترب فلابد أن يُعين من يجلس مكانه حتى لا يضيع العلم ولا يضيع الناس، فجاء ابن عبد الحكم مسرعاً وجلس بين يدي الشافعي وجلس آخرون وأمنيته أن يقول له الشافعي اجلس مكاني فهذه منقبة وشرف عظيم أن يجلس مكان الشافعي فينظر له ابن عبد الحكم ولكن الأمام الشافعي لم يكن ليُوسد الأمر لغير أهله، لذلك اجلس مكانه إسماعيل بن يحي المُزني وهو من أصحاب الشافعي وروى عنه كثير جداً فكان عالمًا فقيهًا، وكان خاله الإمام الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية.

فلم يقل الإمام الشافعي أن ابن عبد الحكم أكرمه ولهذا عليه أن يُجلسه مكانه لا..فلم يجامله على حساب العلم، فإن كان ابن عبد الحكم أكرم الإمام الشافعي فقد أخذ منه العلم الذي لا يقدر بثمن، ولكنه أوسد الأمر إلى أهله ، فلم يبع دينه بعرض من عُروض الدنيا.

فهؤلاء هم الأكابر الذين علِموا وفهِموا أصول الدين وفهِموا عن رسول الله ﷺ وعرفوا كيف يعملون بكل كلمة تعلموها فهو يحفظ حديث رسول الله ﷺ ويعلم قوله (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)، ويفهم فقه الحديث فخاف على الأمة من أن يضع أحدًا وهناك مَنْ هو أفضل منه فتضيع الأمة، وعلِم أنه سيُسأل أمام يدي الله وخاف من تضييع الأمانات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك